المقناص، او الصيد بالصقور

حينما كنت متربعاً في القنطاس مع الاخوان السوريين والمصريين زارنا ذات يوم الشيخ عبد العزيز السعود وهو غير جلالة الملك طبعاً بل من آل صباح . وهو شاب في نحو الثلاثين من العمر لطيف المعشر ومتواضع وثقافته لا بأس بها ، رقيق الحديث والشمائل ، دعانا الى مخيمه في الفنيطيس ، وأرسل لنا سيارته في الوقت المحدد ، وانطلقت بنا السيارة في تلال ووهاد بسيطة خضراء ، واخذت تتعرج بنا في طرق ملتوية وتنحدر قليلا قليلا حتى وصلنا مخيم الشيخ الذي خف هو واخوه والخدم لاستقبالنا ، فترجلنا ودخلنا الديوانية ، وهي خباء واسع من الشعر مفروشة بـ (الزل) اي السجاد والبسط . رحب بنا الشيخ وتحدثنا قليلا ، ثم تقهوينا ، فقال :

يا لله نبي (نريد) نقنص ، فقلنا زين ما يخالف ، وصفق احد المصريين بيديه ، وقال : « إي والله في نفسي إي والله » .

وانطلقنا في الاصيل في تلك البراري الجميله وبيد الشيخ التفك اي البندقية ، وتبعه بعض الخدم وبأيديهم البنادق والعبيد وعلى ايديهم الصقور او الشواهين التي اغمضت عيونها باقنعة من الجلد ألبست في رؤوسها . وقد لبس كل عبد قفازاً خاصاً من الجلد وقف عليه الصقر ومسك باليد الاخري (الوكر) وهو وتد كبير على رأسه معقد صغير من الجلد يشبه كرسي الارغن يدق في الارض ويقف عليه الصقر . وكان دليلنا مرزوق وكان يسبقنا دائماً للاستكشاف يبحث عن الطيور وكنا نحن نسير وعيوننا تارة في الارض وتارة في السماء .

واخيراً نادى مرزوق : كروان ، كروان فأسرع الشيخ الشاب وتبعناه راكضين وحولنا الخدم والعبيد . أما انا فلم أر شيئاً وكذلك رفاقي . وهنا وقف

مرجان العبد ورفع القناع الجلدي عن وجه الصقر الذي اخذ يتلفت بكبرياء وعظمه إلى اليمين واليسار وعيناه المستديرتان الصفراوان تتقدان وترسلان شرراً وفولاذاً ونظر الصقر هنا وهناك كما ينظر الانسان ، وهزه مرجان وحمسه : هيه ، هيه . فرفرف الصقر قليلا بجناحيه ثم بسطهما وانطلق يطير مائلا وغاب عن الانظار .

ولم يطلق بقية العبيد صقورهم ، لأن العادة جرت انه لا يطلق إلا صقر واحد فاذا اطلق اكثر اشتبكت الصقور في قتال دموي حاد .

ورأينا الصقر بعد قليل يحوم فركضنا نحوه فرأيناه يرتفع ثم ينقض مثل الصاعقة بين العشب ، وسمعنا صياح الكروان ، وأسرعنا نحوه ، وأبصرنا الصقر ممسكا الكروان من خاصرتيه بمخالبه الحادة وهو بارك عليه بقوة وجناحاه مسبلان فوقه والصقر ينقره من عنقه بمنقاره الفولاذي القاطع نقراً شديداً جداً بوحشية وضراوة ، والدم يسيل من الفريسة وقد أمالت عنقها لكثرة ما أصابها من الروع والألم وتصيح بشكل مؤثر جداً وتشتغيث بصوت يفتت الاكباد وكلما تحركت تحاول الخلاص أمعن الصقر في نقر عنقها المثقوب الذي سال منه الدم ولطخ ريشها والارض والصقر ، والصقر كلما نقرها نقرة رفع رأسه باعتزاز ونظر الينا وهو يمتص الدم .

وللحال انتفى الشيخ سكيبه خفية وأقبل العبيد فأمسكوا الصقر حتى مكنوا الشيخ من ذبح الكروانة ، ولكن الصقر لم يتركها إلا بجهد وحيلة وإلا بعد ان قدمت له بعض قطع من اللحم ، وهكذا أخفى الخدم الكروانة في الكيس وقدموا رأسها للصقر فشرب منه الدم .

وتابعنا المقناص هكذا نحو ساعتين حتى الغروب فعدنا الى الديوانية فتمشينا وصلينا وتقهوينا وعدنا شاكرين .

ويؤتى بالصقور من سورية وايران وتربى تربية خاصة ، ولكل صقر خادم خاص يعنى به عناية فائقة .

والصقر يكلف الامير يومياً اكثر مما يكلفه العبد ، والصقر لا يأكل إلا اللحم وهو يهتدي لفريسته بالبصر لا بالشم وبصره حاد جداً ويرى فريسته من بعد عظيم ولكنها اذا اختبأت خلف صخرة او شجرة فلا يراها .

وامراء الكويت يفاخرون بالصقور الواقفة دوماً على ايدي العبيد في مجالس الامراء وحيثما ذهبوا ، وهي لعمري تسلية لطيفة وجميلة كانت مشهورة في عصور المجد العربي السالف .

وهذه الطريقة من الصيد معروفة في سورية ويتخذها بعض الفلاحين مهنة يرتزقون منها .